

لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه، وكالعزیز المحتجب لا يريك وجهه، حتى تستأذن عليه، ثم ما كل فكر يهتدى إلى وجه الكشف عما اشتمل عليه، ولا كل خاطر يؤذن له في الوصول إليه، فما كل أحد يفلح في شق الصدفة، ويكون في ذلك من أهل المعرفة، كما ليس كل من دنا من أبواب الملوك فتحت له...»^(١).

فليست مهمة المتلقى مقصورة على مجرد الاستحسان أو الاستيهجان، بل هي مهمة البحث والتنقيب وإعمال الفكر، وليس كل متلق يهتدى بفكره إلى وجه الكشف عما اشتملت عليه الصورة من معنى دقيق، بل يتطلب الأمر أن يكون المتلقى قادرا على إدراك العلاقات في مجال الصورة. وهو ما يقره عبد القاهر في موضع آخر، فيقول: «... فإن المعاني الشريفة اللطيفة لا بد فيها من بناء ثان على أول، ورد تال إلى سابق. أفلست تحتاج في الوقوف على الغرض من قوله: (كالبدر أفرط في العلو) إلى أن تعرف البيت الأول، فتتصور حقيقة المراد منه، ووجه المجاز في كونه دانيا شاسعا، وترقم ذلك في قلبك، ثم تعود إلى ما يعرض البيت الثاني عليك من حال البدر، ثم تقابل إحدى الصورتين بالأخرى، وترد البصر من هذه إلى تلك، وتنظر إليه كيف شرط في العلو الإفراط ليشاكل قوله (شاسع)... فهذا هو الذي أردت بالحاجة إلى الفكر وبأن المعنى لا يحصل لك إلا بعد انبعاث منك في طلبه، واجتهاد في نيته»^(٢).

(١) أسرار البلاغة ص ١١٩ / ١٢٠.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٣.

